٤ ـ في الحديث المحمدي

للاستاذ محمود أبو رية

درجات الصحابة في العلم والفهم :

لم يكن الصحابة رضوان الله عليهم طرازاً واحدا في الفقه والعلم، ولا نمطا متشابها في الإدراك والفهم ، وإنما كانوا في ذلك على طبقات متفاوتة ودرجات متباينة بعضهم أعلم من بعض، شأن الناس جميعا في هذه الحياة على مر الدهور وتوالي العصور ، سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا

قال ابن خلدون في مقدمته « إن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا ، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم ، وإنما كان ذلك مختصا بالحاملين للقرآن ، والعارفين بناسخه ومنسوخه ، ومتشابهه ومحكمه ، وسائر دلالته ، مما تلقوه من النبي (ص) أو ممن سمعه منهم ومن عليتهم ، وكانوا يسمون لذلك (القراء) ، أي الذين يقرأون القرآن ، لأن العرب كانوا أمة أمية فاختص من كان منهم قارئا للكتاب بهذا الاسم لغرابته يومئذ ، وبقي الأمر كذلك صدر الملة » (١)

وقال ابن سعد في طبقاته عن أبي خيثمة عن أبيه قال : كان الذين يفتون على عهد رسول الله (ص) ثلاثة نفر من المهاجرين ، وثلاثة من الأنصار ، عمر وعثمان وعلي ، وأبي بن كعب ومعاذ ابن جبل وزيد بن ثابت

وعن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه : أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان إذا نزل به أمر يريد فيه مشاورة أهل الرأي وأهل الفقه دعا رجالا من المهاجرين والأنصار : دعا عمر وعثمان وعليا وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد ابن ثابت . وكل هؤلاء كان يفتي في خلافة أبي بكر ، وإنما تصير فتوى الناس إلى هؤلاء ، فمضى أبو بكر على ذلك ، ثم ولي عمر فكان يدعو هؤلاء النفر

وعن مسلم عن مسروق قال : شاممت أصحاب رسول الله (ص) فوجدت علمهم انتهى إلى ستة ، إلى عمر وعلي وعبد الله ومعاذ (٢) وأبي الدرداء وزيد بن ثابت ، فشاممت هؤلاء الستة فوجدت علمهم انتهى إلى علي وعبد الله (٣)

وعن عامر قال : كان علماء هذه الأمة بعد نبيها (ص) ستة : عمر وعبد الله وزيد بن ثابت ، فإذا قال عمر قولا ، وقال هذان قولا ، كان قولهما لقوله تبعاً . وعلي وأبي بن كعب وأبو موسى الأشعري ، فإذا قال علي قولا وقال هذان قولا كان قولهما لقوله تبعاً

وعن عامر قال : قضاة هذه الأمة أربعة ، عمر وعلي وزيد وأبو موسى الأشعري، ودهاة هذه الأمة أربعة : عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة وزياد (٤)

وذكر ابن القيم في أعلام الموقعين عن مسروق قال :

« جالست أصحاب محمد (صلوات الله عليه) فكانوا كالأخاذ ، الأخاذة تروي الراكب ، والأخاذة تروي الراكبين ، والأخاذة تروي العشرة ، والأخاذة لو نزل بها أهل الأرض لأصدرتهم ، وأن عبد الله (ابن مسعود) في تلك الأخاذة » (٥)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل ما بعثني الله من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية(٦) قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب (٧) أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا(٨) وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله..رواه الشيخان وغيرهما

رواية الصحابة بعضهم عن بعض ورواياتهم عن التابعين

ليس كل ما جاء من الأحاديث عن الصحابة مما رووه عن

---

(١) ص ٣٤٦

(٢) رواية ابن القيم في أعلام الموقعين (و أبي بن كعب) بدل معاذ

(٣) هو عبد الله بن مسعود

(٤) ص ١٦٦ — ١٦٨ ج ٤ (٥) ص ١٣ ج ١ (٦) في رواية (ثنبة) وفي رواية (بقعة) وفي رواية (طائفة طيبة) وفي رواية (بلية)

(٧) في رواية (أخاذات) وفي رواية (أجاذب) وفي رواية (أحارب) وفي رواية (أجادر) (٨) في رواية (ورعوا) وفي رواية (ودعوا)

رسول الله صلوات الله عليه ودون فى كتب الحديث ؛ قد سمعوه بآذانهم من النبى مشافهة ، ولا أخذوه عنه بالتلقى ، وإنما كان يروى بعضهم عن بعض ، فمن لم يسمع من الرسول كان يأخذ ممن سمع ، وذلك بأن مجالس الرسول كانت متعددة ، وتقع فى أزمنة وأمكنة مختلفة ، فما يحضره منها بعض الصحابة قد لا يحضره البعض الآخر ، وإنك لتجد ذلك باديا فيما رواه بعض الصحابة ، وبخاصة أولئكم الذين كانوا أقلهم صحبة لرسول الله وأكثرهم رواية عنه ، كابن عباس وأبى هريرة وغيرهما

فقد ذكر الآمدى فى الأحكام أن ابن عباس لم يسمع من النبى إلا أربعة أحاديث . وقال ابن القيم فى الوابل الصيب : إن ما سمعه ابن عباس من النبى لم يبلغ العشرين حديثا ، وعن ابن معين والقطان وأبى داود صاحب السنن أنه روى النبى تسعة أحاديث

وأبو هريرة أسلم فى العام السابع من الهجرة ، فهو بذلك لم يصاحب النبى إلا ثلاث سنين ، وهو زمن قليل جدا ليس من المعقول أن يكون قد سمع فيه من النبى كل هذه الآلاف من الأحاديث التى رواها (٩)

قال البراء بن عازب (١٠) : «ما كل ما نحدثكموه قد سمعناه من رسول الله ا ولكن حدثنا أصحابنا وكانت تشغلنا رعية الإبل» ورواية البيهقى : ليس كلنا كان يسمع حديث النبى . . وفيه والناس لم يكونوا يكذبون فيحدث الشاهد عن الغائب . أى بغير أن يذكر من روى عنه

وفى كلام ابن الصلاح وغيره فى رواية الأكابر عن الأصاغر أن ابن عباس والعبادلة الثلاثة وأبا هريرة وغيرهم قد رووا عن كعب الأحبار الذى أسلم فى عهد عمر

على أن الصحابة فى رواياتهم عن إخوانهم أو عن التابعين لم يكونوا يذكرون عندما يتحدثون — كما ذكرنا — أن أحاديثهم قد جاءتهم عن سبيل الرواية عن غيرهم ، ذلك بأنهم كانوا يروون ما يروون فى المناسبات التى تستدعى ذلك مهما طال الزمن من غير عزو لمن سمعوا منهم ثقة بهم وقد جرت الرواية على ذلك إلى أن وقعت الفتنة ، وقد قال ابن سيرين فى ذلك : كانوا لا يسألون عن الإسناد حتى وقعت الفتنة ، ولما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم

وقال الآمدى

« وقد قيل إن ابن عباس لم يسمع من رسول الله (ص) سوى أربعة أحاديث لصغر سنه . ولما روى عن النبى (ص) « إنما الربا فى النسيئة . وأن النبى (ص) لم يزل يلبى حتى رمى جمرة العقبة

قال فى الخبر الأول لما روجع فيه : أخبرنى به أسامة بن زيد. وفى الخبر الثانى : أخبرنى به أخى الفضل بن عباس » وأيضا ما روى عن ابن عمر عن النبى (ص) أنه قال «من صلى على جنازة فله قراط . وأسنده بعد ذلك إلى أبى هريرة . وأيضا ما روى أبو هريرة عن النبى (ص) أنه قال : من أصبح جنبا فى رمضان فلا صوم له . وقال ما أنا قلته ورب الكعبة ولكن محمد قاله (١١) فلما روجع فيه ، قال : حدثنى به الفضل بن عباس

وروى عن البراء بن عازب أنه قال : ما كل ما نحدثكم به سمعناه عن رسول الله (ص) ولكن سمعنا بعضه وحدثنا أصحابنا ببعضه

وأما التابعون فقد كان من عادتهم إرسال (١٢) الأخبار ، ويدل على ذلك ما روى عن الأعمش أنه قال : قلت لإبراهيم النخعى : إذا حدثنى فأسند ، فقال : إذا قلت لك حدثنى فلان عن عبد الله فهو الذى حدثنى ، وإذا قلت لك حدثنى عبد الله فقد حدثنى جماعة عنه . . ولم يزل ذلك مشهورا فيما بين الصحابة والتابعين من غير نكير فكان إجماعا » (١٣)

ولم تقف رواية الصحابة بعضهم عن بعض بل رووا كذلك عن التابعين ، وروى التابعون عن تابعى التابعين

ومن رواية التابعين عن — تابعى التابعين — رواية الزهرى ويحيى بن سعيد الأنصارى عن مالك وهو تلميذها

---

(٩) ص١٣ ج ٢ الأحكام لابن حزم وكلمة البراء هذه قد جاءت برواية أخرى فى الأحكام للآمدى جئنا بها فى هذه الكلمة (١٠) ذكروا أن جملة ما رواه أبو هريرة ٣٧٤
٣٦٥٤٠

(١١) لهذا الحديث قصة طريفة سنوردها فى تاريخ أبى هريرة إن شاء الله

(١٢) الرواية المرسلة للحديث هى التى لم يذكر فيها الصحابى الذى رفعه الى النبى (ص) (١٣) ص ١٧٨ — ١٨٠ ج ٢

بريطانيا العظمى

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

سيدة البحار ، وزعيمة الدول الديمقراطية ، وأولى الدول الصناعية ، وأكبر الدول الاستعمارية ، وديناموالسياسة الدولية. بهذه الكلمات وصفنا بريطانيا فى مقالنا السابق

ولعل القارئ الكريم يسألنى كيف استطاعت بريطانيا أن تكون لنفسها هذه المكانة الممتازة ، وأنا أجيبه بأن ذلك يرجع أولا وقبل كل شئ إلى الخلق البريطانى

الخلق البريطانى

يمتاز الشعب البريطانى بمتانة أخلاقه ، وبثباته واستقراره ، وبحب أفراده لوطنهم حبا لامزيد عليه ، ومسارعتهم للتضحية فى سبيله ؛ ولعل ذلك راجع إلى تأثير المناخ ، فإن بريطانيا تمتاز بأن شتاءها بارد نوعا ، تكتنفه الغيوم ويغشاه السحاب ، وقد دفع ذلك الشعب إلى النشاط لمكافحته والتغلب على متاعبه ، وهذا بدوره قد عود الشعب على الكفاح والجلاد والجهاد

ولا تبدو حقيقة الخلق البريطانى واضحة جلية إلا فى أثناء الأزمات التى تتعرض لها بريطانيا ، فإن الشعب يتكتل فى أثناء تلك الأزمات ، ويقف صفا واحدا للدفاع عن الوطن وعن ترابه. وقد كانت أخطر الأزمات التى تعرضت لها بريطانيا كثيرة ، ولكن أهمها كانت أربعا :

أما الأزمة الأولى فقد كانت تلك التى تعرضت لها أثناء صراعها مع أسبانيا فى أواخر القرن السادس عشر الميلادى ، وقد كان صراعا عنيفا بين دولتين : إحداهما تزعم الدول الكاثوليكية وهى إسبانيا ، والثانية تزعم الدول البروتستانتية وهى إنجلترا . ويقول أحد المؤرخين ما ترجمته : « ومن حسن الحظ أنه عند اقتراب الأزمة الكبيرة كان الخلق البريطانى يكتسب أخص مميزاته وهى الصلابة وشدة المقاومة » . وقد عرف البريطانيون قوتهم فرحبوا بالنزال المقبل ، وفعلا أرسل فيليب الثانى ملك أسبانيا أسطوله المعروف بالأرمادا ؛ والمؤلف من ١٣٢ سفينة « وفى وجه الخطر المقبل تنوسيت الخلافات القديمة وحل محلها نشاط قوى أدى إلى وحدة جميع الأحزاب » ووقف الشعب الإنجليزى برياسة مليكته إليصابات فى وجه الخطر الإسبانى ، وكون أسطولا من ١٩٧ سفينة ، واستطاع أن يحطم الأرمادا ، وبذلك نجت بريطانيا من الخطر المحدق بها ، وبدأت سيادتها البحرية

وأما الأزمة الثانية فكانت تلك التى تعرضت لها بريطانيا فى أثناء صراعها مع فرنسا فى عصر الثورة ونابليون (١٧٩٣ — ١٨١٤) وقد انتهى الأمر بانتصارها وسقوط نابليون

وكانت الأزمة الثالثة التى انتابتها هى الحروب العالمية الأولى ١٩١٤ — ١٩١٨ ونضالها مع ألمانيا ، وقد خرجت منها ظافرة

وأما الأزمة الأخيرة فكانت الحرب العالمية ١٩٣٩ — ١٩٤٥ وقد انتصرت فيها على ألمانيا وحطمت هتلر طاغية القرن العشرين

ولعلنا نذكر تشرشل رئيس وزرائها ١٩٤٢ بعد سقوط فرنسا تحت أقدام الألمان ، ولعلنا نذكر كلماته التى واجه بها الشعب فى ذلك الوقت الحرج : « إنى أقدم لكم الدم والدموع » فهو لم يخدع الشعب ولم يناوره ، بل تكلم فى صراحة وعرض الموقف على حقيقته ، فهو يعلم أن خداع الشعب ليس من المصلحة فى شئ ، وأنه إذ يصارح الشعب بحقيقة الموقف فإنما يدفعه إلى الجلاد والكفاح ، وهو واثق من أن الشعب سيقبل على التضحية فى سبيل الوطن . وقد كان إذ ثبتت بريطانيا وانتصرت

ومن (الطريف للفطانى) كما قال السيوطى أن يروى الصحابى عن تابعى عن صحابى آخر حديثا

ومن ذلك حديث السائب بن يزيد الصحابى عن عبد الرحمن ابن عبد القارى التابعى عن عمر بن الخطاب عن النبى (ص) « من نام عن حزبه أو عن شئ منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه فى الليل » رواه مسلم فى صحيحه ومن ذلك حديث لا يستوى القاعدون

وقد جمع الحافظ العراقى من ذلك عشرين حديثا

المنصورة الكلام صلة محمود أبو ريه